السَّنة التاسعة والسُّتون وخَمس مئة

في يوم عاشوراء جَلَسَ محمد الطُّوسي بالتَّاجية، وقال على المنبر: إنَّ ابن مُلْجَم لم يكفر بقتل علي عليه السلام، فضُرِبَ بالآجُرِّ، وثار النَّاس، ولولا مَنْ كان حوله من الغِلْمان لقُتِلَ، فلما كان في اليوم الثَّاني من مجالسه فرشوا له المنبر ليجلس، فاجتمع الناس على باب التَّاجية، ومعهم قوارير النِّفْط ليحرقوه، وبعضهم في أيديهم الآجُر ليرجموه، فلم يحضر، فأحرقوا منبره، وأحضره نقيب النقباء، وأسمعه كلاماً غليظاً، فقال له: أنتَ نائبُ الدِّيوان، وأنا نائب الله في أرضه. فقال له النقيب: أنا نائبُ الدِّيوان وأنت نائب الشَّيطان. وأمر بأن [يجرَّ][1] برِجْله، وكتب إلى الخليفة يخبره [بما بدا منه][1]، فأمر [الخليفة][1] بنفيه، فنفي إلى الجانب الغربي، ثم خرج بعد مُدَّة إلى مِصْر، [وجرى له العجائب، وسنذكره][1].

وفيها كَتَبَ صلاحُ الدِّين إلى نور الدين يسأله ويستأذنه في إنفاذ جيشٍ إلى اليمن، فأَذِنَ له، فبعث أخاه تورانشاه شمسَ الدَّوْلة، فسار إليها في رجب، وكان بها عبد النَّبي ابن مهدي، ويلقب بالدَّاعي من أصحاب المِصْريين، وكان ظالماً فاتكاً، فحصره شمسُ الدَّولة في قصر زَبيد مدَّة، ثم طلب الأمان، فأَمَّنه، فلما نزل إليه قيَّده ووكل به، [فسار شمس الدولة][1]، ففتح صنعاء وحصون اليمن والمدائن، فيقال: إنَّه فتح ثمانين حِصْناً ومدينة، واستولى على أموالها وذخائرها، وقَتَلَ [الخارجي][1] عبدَ النَّبي [بن مهدي][1] وولى على زبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ [أبا الميمون، وكان من الفصحاء جواداً مُمَدَّحاً][1]، وعزّ الدين عثمان بن الزَّنجيلي على باقي البلاد.

وفيها أكثر نور الدِّين من الصَّدقات والصِّلات، وزاد في الأوقاف، وكسا اليتامى، وزوَّج الأرامل، وأغنى الفقراء، وكشف المظالم، بحيث لم يبق في بلاده مَظْلِمة [إلا وردَّها][1]، وبعث خالد بن محمّد بن القَيْسَراني أميناً على مال القَصْر، ومستوفياً لحواصل البلاد، فأكرمه صلاحُ الدِّين، وقال: نحن مماليكُ نورِ الدِّين، افعل ما أمرك إلا أنَّ جماعةً من الأكابر قد تصرَّفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم، ولا يرضون بأن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ينقص ارتفاعها، فعَلِمَ خالدٌ أنَّ طاعته إنما هي مخادعة ومراوغة، فسكتَ، ولم يشافهه، ومات نورُ الدين في شوَّال، وبَطَلَ ذلك الأمر.

وفيها قبضَ صلاحُ الدِّين على جماعةٍ من أعيان الدَّوْلة المِصْرية مثل داعي الدُّعاة، وعمارة اليمني [الشاعر][1] وغيرهما، بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفتن، واتفقوا مع السُّودان وكاتبوا الفرنج، وأنهم يريدون قَتْلَ صلاح الدِّين والغُزّ، ورتَّبوا مع السُّودان أن يثوروا [وينادوا][1] بشعار المِصْريين، وكان زين الدين بن نُجَيَّة الواعظ قد اطَّلعَ على ذلك، فخاف من صلاح الدين، فأنهى إليه الحال وما دبَّروا، فقبض عليهم، وقَتَلَ داعي الدُّعاة، وصلب عُمارة، [وسنذكره][1].

[فصل: وفيها توفي

أبو العلاء الهَمَذاني الحافظ[2]

واسمه الحسن بن أحمد بن الحسن العَطَّار، سافر إلى الأقطار في طلب الحديث، وقرأ القرآن واللغة، وعاد إلى هَمَذان، فأقام بها، وصنَّف الكُتُب، وكان حافظاً دَيِّناً، سخياً، وانتهى إليه عِلْمُ الحديث والقراءات، وكان له قَبُولٌ عظيم ومكانة عالية، وتوفي ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى، ودفن في هَمَذَان وقد جاوز الثمانين.

رآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: نزل عليَّ الملكان، فقلت: على ماذا أتيتما؟ وصحتُ عليهما، فرجعا، ولم يقولا شيئاً][1].

وفيها توفي

عبد النَّبي بن مهدي[3]

قال المصنِّف رحمه الله: وقعتُ على تاريخ بمصر، فرأيتُ فيه أنَّ شمس الدَّولة لما سار إلى اليمن، وكان أعيانُها قد كتبوا إلى صلاح الدِّين يسألونه أن يبعث إليهم بعضَ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٤٨، و«معجم الأدباء»: ٨/ ٥-٥٢ و«الكامل»: لابن الأثير ١١/ ١٦٧، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٠-٤٧ و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٠٠-١٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد»: ٢٩٩-٢٣٧، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٧٢-٢٧٥، ٣٦٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٢-٥٨٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٢٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

أهله، فلما وصل شمسُ الدولة إلى مكَّة صَعِدَ صاحبُها إلى أبي قُبَيْس، فتحصَّن منه بقلعةٍ بناها عليه، وأغلق بابَ الكعبة، وأخذ المفاتيح، فجاء شمسُ الدولة، فطاف بالبيت، وصلَّى رَكعتين، وصَعِدَ إلى باب الكعبة، وقال: اللهم إنْ كنتَ تعلم أني جِئْتُ إلى هذه البلاد لإصلاح العِباد وتمهيدها، فيسِّر عليَّ فتح هذا الباب، وإنْ كنتَ تعلم أني جئتُ لغير ذلك فلا تفتحه. ومدَّ يده، فجذب القُفْل فانفتح، فدخل [شمس الدولة][1] إلى البيت، فصلَّى ودعا، فلما بلغ أمير مكة ذلك نزل إلى خدمته، وحمل المفاتيح، واعتذر، وقال: خفتُ منك، والآن فأنا تحت طاعتك. فقال له: إذا أخذتُ منك المفاتيح، فلمن أُعطيها؟ ثم خلع عليه وعلى أصحابه، وطيَّب قلبه، وسار إلى اليمن، فانهزم عبد النّبي بين يديه إلى زَبيد.

وكان أبوه مهدي قد فتح اليمن وقتل خَلْقاً كثيراً، وشقَّ بطون الحوامل، وذَبَحَ الأطفال على صدور أُمهاتهم، وكان يرى رأي القرامطة، ويُظْهر أنَّه داعية لصاحب مِصْر، ويتستَّر بالإسلام. وكان قد مات قبل دخول شمس الدولة اليمن بسنين، وملك بعده ولدُه عبد النبي، ففعل باليمن أشدَّ مما فعل أبوه وسبى نساءهم، واستعبدهم، وكان أبوه لما مات بنى عليه قُبَّة عظيمة، وصفَّح حيطانها بالذَّهب [الأحمر][1] والجواهر [ظاهراً][1] وباطناً بحيث لم يُعمل في الدُّنيا مثلُها، وجَعَلَ فيها قناديلَ الذهب وستور الحرير، ومَنَعَ أهلَ اليمن من زَبيد إلى حضرموت أن يحجوا إلى الكعبة، وأمرهم بالحجِّ إلى قبر أبيه، فكانوا يحملون إليها من الأموال في كلِّ سنة ما لا يُحَدُّ ولا يحصى، ويطوفون حولها مثلما يطاف بالكعبة، ومن لم يحمل مالاً قتله، وكانوا يقصدونها من السَّحَر، فاجتمع فيها أموالٌ عظيمة.

وأقام عبد النبي على الظُّلْم والفِسْق والفجور وذَبْحِ الأطفال وسَفْكِ الدِّماء وسبي النِّساء، إلى أن دخل شمسُ الدولة إلى اليمن. وجاء إلى زَبيد، فيقال: إنَّه حَصَرَ عبد النَّبي فيها، وأَمَّنه وقيَّده وقتله [وقد ذكرناه][1].

ويقال: إنَّه انهزم بين يديه وجاء إلى قبر أبيه والقُبَّة فهدمها، وأخذ ما كان فيها من المال والجواهر والفِضَّة، فكان على ست مئة جمل، ونبش القبر، وأحرق عظام أبيه

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وذَرَاها في الرِّيح، ومضى إلى صنعاء، فحلف شمسُ الدَّولة لا ينتهي عنه حتى يقتله ويحرقه كما فعل بأبيه، وسار خَلْفه، فرجع إلى زبيد، وعاد شمس الدولة إليها فظفر به، فأخذ ما كان معه، وقتله وصلبه وحَرَقه كما فعل بعظام أبيه.

عُمارة اليمني ابن الحسن[١]

[أبو حمزة الشاعر][٢].

قلت[٣]: وقال القاضي شمس الدولة ابن خَلِّكان قاضي القضاة رحمه الله: هو أبو محمَّد عُمارة ابن أبي الحسن علي بن زيد بن بدران بن أحمد بن محمَّد بن سليمان الحَكَمي[٤]، الملقب نجم الدِّين، الشَّاعر، بلغ الحُلم سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، وشُنق يوم السبت ثاني رمضان سنة تسعٍ وستين بالقاهرة[٥] ـ وهو من جبال اليمن من مدينة مُرْطان، بينها وبين مكة في مهبِّ الجنوب أحد عشر يوماً[٦].

وهو من قحطان من ولد سَعْد العشيرة، كان فقيهاً فصيحاً، أقام بزبيد مدَّةً يُقرأ عليه مذهب الشَّافعي رحمة الله عليه، وله في الفرائض مصنَّف مشهور باليمن، واستحلفه أبوه أن لا يهجو أحداً، ومدح المِصْريين[٧]، فقرَّبوه، وأعطوه الأموال، وكان عندهم بمنزلة الوزير، وخَدَمَ الملكة أم فاتك صاحب زبيد، وحجَّ معها، فحصل له مالٌ عظيم، ثم طرأت أمور باليمن اقتضت خروجه منها في سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، ومات فيها أمير الحرمين هاشم، فكلَّفه ولده قاسم السِّفارة له عند الدولة المصرية، فقَدِمَ مِصْر سنة خمسين وصاحبها الفائز بن الظَّافر والوزير طلائع بن رُزِّيك، فدخل عليهما، ومدحهما بقوله: [من البسيط]

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣/ ١٠١-١٤١ ، و«الروضتين»: ٢/ ٢٨٢-٣٠٥ ، و«مفرج الكروب»: ١/ ٢١٢-٢٣٨ ، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١-٤٣٦ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٩٢-٥٩٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته. وفي كتابه «النكت العصرية» أطراف من سيرته الذاتية، ومقطعات من شعره.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وكذا سماه السِّبْط وكنَّاه.

(٣) القائل هو قطب الدين اليونيني، مختصر مرآة الزمان.

(٤) انظر الاختلاف في نسبه في حواشي «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١-٤٣٢ .

(٥) «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١، ٤٣٥ .

(٦) إلى هنا ينتهي النقل من «وفيات الأعيان».

(٧) في (م) و(ش): ذكره العماد في «الخريدة»، وقال: مدح المصريين ـ قلت: وليس الخبر في «الخريدة».

الحمدُ للعِيْس بعد العَزْم والهِمَم حَمْداً يقوم بما أولَتْ من النِّعَم
لا أجحد الحقَّ عندي للرِّكابِ يدٌ تمنَّتِ اللُّجْمُ فيها رُتْبَةَ الخُطُم
قرَّبْنَ بُعْدَ مزار العِزِّ من نَظَري حتى رأيتُ إمام العَصْرِ من أَمَم
ورُحنَ من كعبة البَطْحاءِ والحَرَم وفداً إلى كعبة المعروف والكَرَم
فهل درى البيتُ أني بعد فُرْقته ما سرتُ من حَرَمٍ إلا إلى حَرَمِ
حيث الخلافةُ مضروبٌ سُرادِقُها بين النَّقيضين من عَفْوٍ ومن نِقَم
وللإمامةِ أنوارٌ مقدَّسةٌ تجلو البغيضين من ظُلمٍ ومن ظُلَم
وللنبوَّةِ آياتٌ تنصُّ لنا على الخفيين من حُكْم ومن حِكَم
وللمكارمِ أعلامٌ تعلِّمنا مَدْحَ الجزيلين من بأسٍ ومن كَرَمِ
وللعُلا ألسنٌ تُثْني محامدها على الحميدين من فِعْلٍ ومن شِيَم
ورايةُ الشَّرف البذَّاخِ ترفَعُها يدُ الرَّفيعين من مجدٍ ومن هِمَم
أقسمتُ بالفائز المعصومِ معتقداً فوزَ النَّجاةِ وأَجْرَ البِرِّ في القَسَم
لقد حمى الدِّينَ والدُّنيا وأهلَهما وزيرُه الصَّالحُ الفرَّاجُ للغُمَم
اللابس الفَخْرَ لم تَنْسُجْ غلائلَه إلا يدُ الصَّنْعتين السيفِ والقلم
وُجُودُه أوجد الأيام ما اقترحتْ وَجُودُه أعدَمَ الشَّاكين للعَدَم
قد ملَّكَتْه العَوَالي رِقَّ مملكةٍ تعيرُ أنفَ الثُّريا عزَّة الشَّمَم
أرى مقاماً عظيمَ الشَّأنِ أَوْهَمني في يقظتي أنَّها من جُمْلة الحُلُم
يومٌ من الدَّهر لم يَخْطُرْ على أملي ولا ترقَّتْ إليه رَغْبَةُ الهِمَم
ليتَ الكواكبَ تدنو لي فأنظِمَها عقودَ مَدْحٍ فما أرضى لكم كَلِمي
ترى الوِزارةَ فيه وهي باذِلةٌ عند الخلافة نُصْحاً غير متَّهم
عواطِفٌ علَّمتنا أنّ بينهما قرابةً من جميل الرَّأي لا الرَّحِم
خليفةٌ ووزيرٌ مدَّ عَدْلُها ظِلاً على مَفْرِقِ الإسلام والأُمَم
زيادةُ النِّيل نَقْصٌ عند فيضهما فما عسى نتعاطى مِنَّةَ الدِّيَم

[وهي قصيدة في نفسها نفيسة إلا أن قوله "الحمد للعيس" فإنها لفظة غير رئيسة، لأن الحمد لا ينبغي إلا لعز الله وجلاله، وكبريائه وكماله، فلما أنشده القصيدة خلع

عليه الفائز، وأضافه إلى الأعيان وكبراء الدولة][1] مثل أبي المعالي بن الجبّاب الجليس والموفق أبي الحجاج يوسف بن الخلال [وقدمه وأكرمه ، وكان يستشيره، وله مدائحُ كثيرةٌ في الخلفاء، والوزراء والملوك، وشاور والصالح بن رُزِّيك وشمس الدولة تورانشاه، وأكثر مدائحه فيه، ومدح نور الدين وصلاح الدين، وقد وقفت على ديوانه وذكرت منه هاهنا من الحوادث ما يليق بزمانه، ولما قتل الصَّالح بن رُزِّيك رثاه، فقال ـ وقد نقل تابوته من دار الوزارة إلى القرافة، فدفن في تربته، فقال[1]]: [من الكامل]:

خَرِبَتْ ربوعُ المكْرُماتِ لراحلٍ ... عَمَرَتْ به الأجداثُ وهي قِفارُ
نَعْشُ الجدود العاثرات مُشَيَّعٌ ... عَمِيَتْ برؤيةِ نَعْشه الأَبْصارُ
شَخَصَ الأنامُ إليه تحت جِنازةٍ ... خُفِضَتْ برفعة قَدْرِها الأقدارُ
وكأنَّه تابوت موسى أُودِعتْ ... في جانبيه سكينةٌ ووَقارُ
وتغاير الحَرَمان والهَرَمانِ في ... تابوته وعلى الكريم يُغارُ
أُحْلِلْتَ دارَ كرامةٍ لا تنقضي ... أبداً وحلَّ بقاتليك النَّارُ
غَضِبَ الإله على رجالٍ أقدموا ... جَهْلاً عليك وآخرين أشاروا
لا تعجبوا لقُدارِ ناقةِ صالحٍ ... فلكلِّ عَصْرٍ ناقةٌ وقُدارُ[2]

وقال يرثيه: [من الطويل]

سمعتُ حديثاً أَحْسُدُ الصُّمَّ عنده ... ويَذْهَلُ واعِيْه ويَخْرَسُ قائِلُهْ
وقد رابني من شاهد الحال أنَّني ... أرى الدَّسْتَ منصوباً وما فيه كافِلُهْ
وأني أرى فوقَ الوجوه كآبةً ... تَدُلُّ على أَنَّ الوجوه ثواكِلُهْ
ولم لا نبكِّيه وننْدُبُ فَقْدَهُ ... وأولادُنا أيتامُه وأرامِلُهْ

وقال يمدح شمس الدولة ويحرِّضه على اليمن، [وقيل: هذه الأبيات كانت سبباً لمسير شمس الدولة إلى اليمن][3]: [من البسيط]

---

(١) في (ح): «فخلعا عليه، وأضافه الفائز إلى كبراء الدولة، وقدمه وأكرمه، وكان يستشيره، وأضافه إلى الأعيان مثل أبي المعالي بن الجباب الجليس والموفق أبي الحجاج يوسف ابن الخلال والوزراء والملوك.
وقال: وقد نقل تابوت الصالح من دار الوزارة إلى القرافة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو قدار بن سالف الذي يقال له أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام، انظر اللسان (قدر).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

العِلْمُ مُذْ كان محتاجٌ إلى العَلَمِ ... وشَفْرَةُ السَّيْفِ تستغني عن القَلَمِ
وخير وصْفِكَ إنْ غامرتَ في شَرَفٍ ... عزمٌ يفرِّقُ بين السَّاقِ والقَدَمِ
إنَّ المعالي عروسٌ غير راضيةٍ ... إنْ لم تخلِّقْ رداياها برَشْحِ دَمِ
كم يترك البيض في الأجفان ظامئةً ... إلى الموارِدِ في الأعناق والقِمَمِ
ومُقلَةُ المَجْدِ نحو العِزِّ شاخِصةٌ ... فاتركْ قعودَك عن حوماتها وقُمِ
أمامَكَ الفَتْحُ من شامٍ ومن يَمَنٍ ... فلا تَرُدَّ رؤوسَ الخيل باللُّجُمِ
فعمُّك الملك المنصور سوَّمها ... من الفرات إلى مِصْرٍ بلا سأمِ
هذا ابنُ تُومَرْتَ قد كانت بدايتُهُ ... كما يقولُ الورى لحماً على وَضَمِ
قد كان أوَّل هذا الدِّين من رَجُلٍ ... سعى إلى أن دَعوه سيِّدَ الأُمَمِ

قال العماد [الكاتب في «الخريدة»][1]: اتفقتْ لعمارة اتفاقاتٌ عجيبة، منها أنَّه نُسِبَ إليه قولُ هذا البيت، فكان أحدَ أسباب قَتْله، ويجوز أن يكون معمولاً عليه، ثم قال: فَقُطِعَ الطريق على عُمارة، واعتيض بخرابة عن العِمارة، فأفتى فقهاءُ مِصْر بقتله، وحرَّضوا السُّلْطان على المُثْلة بمِثْله[2].

ثم قال عمارة: [من البسيط]

وما رضيتُ بوَجْهي أنْ أجودَ به ... على بخيلٍ ولا استسمنت ذا وَرَمِ
حاشا عوائدك الحُسْنى تنامُ لها ... أجفانُ عينٍ وعينُ الله لم تَنَمِ

من أبيات.

ذكر مقتله: واختلفوا فيه على أقوال، [أحدها][1] أنَّ سببه قوله هذا البيت، وكان في قلب صلاح الدين منه، لأنَّه نُقل إليه عنه أنَّه سعى في الدولة، [وسنذكره][1].

والثَّاني: أنه رثى أهل القَصْر بمرثية عرَّض فيها بصلاح الدِّين، فقال: [من البسيط]

رميت يا دَهْرُ كفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ ... وجِيْدَه بعد حُسْن الحَلْي بالعَطَلِ
سَعَيْتَ في منهج الرأي العثور فإنْ ... قَدَرْتَ من عَثَرَات السَّعْي فاسْتَقِلِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٣/ ١٠٤.

جَدَعْتَ مارِنَك[١] الأقنى فأنفك لا ... ينفكُّ ما بين نقْصِ الشَّين والخَجَلِ
هَدَمْتَ قاعدة المعروفِ عن عَجَلٍ ... سُقيتَ مُهْلاً[٢] أما تمشي على مَهَلِ
قَدِمْتُ مِصْرَ فأوْلتني خلائِفُها ... من المكارم ما يُرْبي على الأمل
قومٌ عَرَفْتُ بهم كَسْبَ الألوف ومِنْ ... كمالها أنَّها جاءت ولم أَسَلِ
وكنتُ من وزراء الدَّسْت حيث يرى ... رأس الحِصانِ يهاديه على الكَفَلِ
يا عاذلي في هوى أبناءِ فاطمةٍ ... لك المَلامةُ إن قَصَّرْتَ في عَذَلي
بالله زُرْ ساحةَ القَصْرَيْنِ وابكِ معي ... عليهما لا على صِفِّيْنَ والجَمَلِ
وقل لأهلهما واللهِ ما التحمت ... فيكم جروحي وما قَرْحي بمُنْدَمِلِ
ماذا تَرَى كانتِ الإفرنجُ فاعلةً ... في نَسْلِ آل أميرِ المؤمنين علي
هل كان في الأمر شيءٌ غير قسمة ما ... مُلِّكْتُمُ بين حُكْم السَّبْي والنَّفَلِ
مررتُ بالقَصْر والأركانُ خاليةٌ ... من الوفودِ وكانت قِبْلَةَ القُبَلِ
فملتُ عنها بوجهي خوفَ مُنْتَقِدٍ ... من الوشاة ووَجْه الوُدِّ لم يَمِلِ
أَسْبَلْتُ من أسفٍ دمعي غَدَاةَ خَلَتْ ... رحابُكُمْ وغَدَتْ مهجورةَ السُّبُلِ
أبكي على مأثُراتٍ من مكارِمِكُمْ ... حالَ الزَّمانُ عليها وهي لم تَحُلِ
دارُ الضِّيافةِ كانت أُنْسَ وافِدكُمْ ... واليومَ أَوْحَشُ مِنْ رَسْمٍ ومن طَلَلِ
وكسوة النَّاس في الفَصْلَيْن قد دَرَسَتْ ... ورَثَّ منها جديدٌ عنهمُ وبلي
وأوَّلُ العام والعيدان كم لكُمُ ... فيهنَّ من وَبْلِ[٣] جُودٍ ليس بالوَشَلِ
وموسم كان في يوم الخليج لكم ... تمشي العرائس في حلي وفي حلل
والأرضُ تهتزُّ في يوم الغدير كما ... يهتز ما بين قصريكُم مِنَ الأَسَلِ
كانت رواتبكم للمؤمنين وللضَّـ ... ـيف المقيمِ وللطَّاري من الرُّسُلِ
وما خَصَصْتُمْ بهذا أهلَ مِلَّتِكُمْ ... حتى عَمَمْتُمْ به الأقصى من المِلَلِ
وللجوامع من أَحْباسِكُمْ نِعَمٌ ... لمن تصدَّر في فَضْلٍ وفي عَمَلِ

(١) المارن: ما لان من الأنف. «اللسان» (مرن).
(٢) المهل: القيح والصديد. «اللسان» (مهل).
(٣) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر: «اللسان» (وبل).

والله لا فازَ يومَ الحَشْرِ مُبْغِضُكُمْ ولا نجا من عذاب الله غير ولي
ولم ينلْ جَنَّة الخُلْد التي خُلِقَتْ مَنْ خان عهدَ الإمامِ العاضدِ ابنِ علي

وبلغت صلاحَ الدين فأراد قَتْله، فلم يتمكَّن من ذلك لأنه كان مكيناً محترماً في الدَّولة، وكان أخوه شمس الدولة يرى لعمارة، وكان خصيصاً به، فسكت على مضضٍ.

والثالث: أَنَّ صلاح الدين بلغه أنه قد اتفق مع داعي الدُّعاة وجماعةٍ من أعيان الدولة في التَّدْبير عليه، وإقامة ولد العاضد مقام أبيه، وكاتبوا الفرنج، وكان زين الدين ابن نُجَيَّة الواعظ معهم، فأنهى ذلك إلى صلاح الدين، فأحضرهم، وسألهم، فلم ينكروا ولا اعترفوا، واتفقت غيبةُ شمس الدولة في اليمن، ولو كان حاضراً ما مكَّن صلاحَ الدِّين من قتله، فأول من صُلِبَ داعي الدعاة، وقاضي القضاة بمصر وهو أبو القاسم هبة الله بن كامل، وكان عندهم في المنزلة العُلْيا، وكان فاضلاً، ومن شعره في صبي يرفأ: [من مخلع البسيط]

يا رافياً خَرْقَ كلِّ ثوبٍ[1] ويا رشاً حُبُّه اعتقادي
عسى بكفِّ الوِصال تَرْفُو ما مزَّقَ الهَجْرُ من فؤادي

وكان عمارة قد اجتاز قبل أن يصلب بثلاثة أيام على مصلوب، فقال: [من الوافر]

أرادَ عُلُوَّ مرتبةٍ وقَدْرِ فأصبحَ فوقَ جِذْعٍ وهو عالي
ومدَّ على صليب الجِذْعِ منه يميناً لا تطولُ إلى الشِّمالِ
ونكَّسَ رأسه لعتابِ قَلْبٍ دعاه إلى الغَوَايةِ والضَّلال

وهذا من أعجب الاتِّفاقات، [وأغرب الواقعات][2].

ولما أمر صلاح الدين بصلبه مرُّوا به على دار القاضي الفاضل، فرمى بنفسه على بابه، وطلب الدخول إليه، فلم يأذن له، ولا أجاره، فقال: [من مجزوء الكامل]

عبدُ الرَّحيم قد احْتَجَبْ إنَّ الخلاصَ من العَجَبْ

فصلب، وهو صائم في شهر رمضان.

---

(١) في (ح) و(م) و(ش): يا رافياً خرق القلوب. ولا يستقيم وزناً ولا معنى، والمثبت من «الروضتين»: ٢/ ٢٩٧.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال تاج الدين الكندي: [من الطويل]

عُمارة في الإسلام أبدى خيانةً ... وبايع فيها بِيْعةً وصَليبا
وأمسى يعين الشِّرْكَ في بُغْضِ أحمدٍ ... فأصبحَ في حُبِّ الصَّليب صليبا[١]
وكان خبيثَ الملتقى إنْ عَجَمْتَه ... تَجِدْ منه عوداً في النِّفاق صليبا[٢]
سيلقى غداً ما كان يسعى لمثله ... ويُسْقى صديداً في لظًى وصَلِيبا[٣]

قلت[٤]: وقال القاضي شمس الدِّين بن خَلِّكان قاضي القضاة رحمه الله تعالى: كان بين عُمارة وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة، فلما وَزَرَ والده، استحال على عمارة، فكتَبَ إليه: [من الطويل]

إذا لم يُسالمك الزَّمانُ فحارِبِ ... وباعد إذا لم تنتفعْ بالأقارب
ولا تحتقرْ كيداً ضعيفاً فربَّما ... تموتُ الأفاعي من سمام العقاربِ
فقد هدَّ قِدْماً عَرْشَ بِلْقيسَ هُدْهُدٌ ... وخرَّبَ فأرٌ قبلَ ذا سدَّ مأربِ
إذا كان رأسُ المال عمرَك فاحْتَرِزْ ... عليه من الإنفاق في غير واجبِ
فبين اختلاف الليل والصبح مَعْرَكٌ ... يكرُّ علينا جيشُه بالعجائبِ
وما راعني غَدْرُ الشَّباب لأنَّني ... أَنِسْتُ بهذا الخُلْق من كلِّ صاحبِ
وغَدْرُ الفتى في عهده ووفائه ... وغَدْر المواضي في نبوِّ المضارب
إذا كان هذا الدُّرُّ معدِنُه فمي ... فصونوه عن تقبيل راحة واهبِ
رأيتُ رجالاً أصبحت في مآدب ... لديكم وحالي وحدها في نوادب
تأخرتُ لما قدَّمتْهُمْ علاكمُ ... عليّ وتأبى الأُسْد سَبْقَ الثَّعالبِ
تُرى أين كانوا في مواطنيَ التي ... غَدَوتُ لكم فيهن أكرم نائب
ليالِيَ أتلو ذكركم في مجالس ... حديث الورى فيها بغمز الحواجب[٥]

---

(١) في هامش (ح): أي مصلوب.
(٢) في هامش (ح): أي شديد.
(٣) في هامش (ح): أي ودك.
(٤) القائل هو قطب الدين اليونيني، مختصر مرآة الزمان.
(٥) «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣٤.

محمود بن زَنْكي بن آق سُنْقُر[١]

أبو القاسم، الملك العادل نور الدين، رحمه الله تعالى.

[اعلم أن سيرة نور الدين أولى ما صرفت العناية إليها، واعتمد في اغتناء الفضائل عليها، تحثُّ الطالب على نيل المطالب، وتعدل بهمة الراغب على تحصيل الرغائب، وقد ذكر العلماء سيرته، وسطر الفضلاء ترجمته، وقد جمعت في كتابي هذا ما تفرَّق في تواريخهم من محاسن أخباره، وأتيت على معظم مآثره وآثاره.

ذكر مولده وصفته وطَرَف من أخباره:

ذكر الحافظ ابن عساكر أنه ولد][٢] سنة إحدى عشرة وخمس مئة، وكان معتدل القامة، أسمر اللون، واسع الجبهة، حسن الصُّورة، لحيته شعراتٌ خفيفة في حنكه.

[قال][٣]: ونشأ على الخير والصَّلاح، وقرأ القرآن، [وكان مواظباً على][٣] العبادة، [وكان][٣] قليل المخالطة للجُنْد، وكان [أبوه][٣] زنكي يقدمه على أولاده ويرى فيه مخايل النجابة.

[قال][٣]: وفتح نيفاً وخمسين حِصْناً، منها: تل باشر، وعَزَاز، ومَرْعَش، وبَهَسْنى، وتل خالد، وحارم، والمَرْزُبان، ورَعْبان، وكيسون، والرُّها، وكسر إبرنس أَنْطاكية، وقتله، وقتل معه ثلاثة آلاف، وأخذ من القومص ثلاث مئة ألف دينار وخمس مئة زَرَدية، وخمس مئة حصان، وخمس مئة أسير.

واتسع مُلْكه، ففتح المَوْصل والجزيرة وديار بكر والشَّام والعواصم ودمشق وبعلبك وبانياس ومِصْر واليمن، وخُطِبَ له في الدُّنيا، وأظهر السُّنَّة بحلب، وأزال الأذان بحيّ على خير العمل، وبنى بها المدارس، [وأوقف الأوقاف، وبنى سور دمشق

---

(١) أخباره مستفيضة في تواريخ تلك الفترة، وأفرد أبو شامة شطراً من كتابه «الروضتين في أخبار الدولتين» في أخباره وأخبار دولته، وأوعب فيما كتب، وقد حققته، وصدر في خمسة أجزاء عن مؤسسة الرسالة في بيروت، سنة ١٩٩٧.

(٢) في (ح) قال ابن عساكر: ولد سنة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

والمدارس][1] وأسقط ما كان يؤخذ من دار البطيخ، وسوق الخيل والغنم، والكيالة، وجميع المكوس، وعاقب على شُرْب الخمر.

وكان في الحرب ثابت القدم، حسن الرمي، يتقدَّم أصحابه فيها، ويتعرَّض للشَّهادة، ويسأل الله أن يحشره من بطون السِّباع، وحواصل الطَّير.

ووقف أوقافاً على المرضى والمجانين، وبنى المكاتب لليتامى، وبنى المارَسْتان بدمشق، ووقف على سُكان الحرمين، وأقطع أمراء العرب القطائع لئلا يتعرَّضوا للحاجّ، وأمر بإكمال سور المدينة، وأجرى إليها العين التي تأخذ من أُحُد من عند قبر حمزة رضي الله عنه، وبنى الرُّبُط والجُسور والخانات والقناطر، وجدَّد كثيراً من قُني السَّبيل، وكذا صَنَعَ في غير دمشق من البلاد التي ملكها، ووقف كُتُباً كثيرة في مدارسه، وكان حسنَ الخطِّ، كثير المطالعة للكُتُب الدِّينية، متبعاً للآثار النبوية، مواظباً على الصلوات الخمس في الجماعات، عاكفاً على تلاوة القرآن، حريصاً على فعل الخير، عفيف البطن والفرج، مقتصداً في الإنفاق، متحرِّياً في المطعم والمشرب والملبس، لم تُسْمع منه كلمة فحش قط، لا في رضاه ولا في غضبه، هذا مع ما جَمَع الله فيه من العقل المتين، والرأي الثَّاقب الرصين، والاقتداء بسيرة السَّلف الصَّالحين، حتى روى حديث المصطفى ﷺ، وأسمعه. وكان قد استجيز له [ممن سمعه وجمعه حرصاً منه على الخير في نشر السنة بالأداء والتحديث، ورجاء أن يكون ممن حفظ على الأمة أربعين حديثاً كما جاء في الحديث][1]، فمن رآه شاهد من جلال السَّلْطنة وهيبةِ المملكة ما يبهره، فإذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه ما يحيِّره، يحبُّ الصالحين ويؤاخيهم، ويزورهم في أماكنهم لحُسْن ظنِّه فيهم. [هذا قول ابن عساكر، وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى][2].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وحديث «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي». روي عن جمع من الصحابة بأسانيد لا يخلو واحد منها من مقال.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) ، وانظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٢٩٣-٢٩٦ .

وقال الجزري في «تاريخ المَوْصل»: قد طالعتُ تواريخ الملوك المتقدمين [من] قبل الإسلام وإلى يومنا [هذا][1]، فلم أَرَ فيها بعد الخلفاء الرَّاشدين وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسنَ سيرةً من نور الدِّين، ولا أكثر تحرِّياً للعَدْل والإنصاف منه[2]، ثم ذكر [من][1] عدله وزُهْده وفَضْله وجهاده واجتهاده من جنس ما ذكر [الحافظ][1] ابن عساكر، قال: وكان لا يأكل ولا يَلْبَس ولا يتصرَّف فيما يخصُّه إلا من مِلْكٍ اشتراه من سهمه من غنائم الكُفَّار، وكان يحضر الفقهاء، ويستفتيهم فيما يحلُّ له من تناول الأموال، فأفتوه من جهات عيَّنوها، فلم يتعدَّها إلى غيرها، ولم يَلْبَس حريراً قطُّ ولا ذهباً ولا فضَّة، ومنع من بيع الخمرة في بلاده، وكان يحدُّ شاربها، والنَّاس عنده سواء في ذلك.

وكان كثيرَ الصِّيام، وله أوراد في اللَّيل والنَّهار، فكان يقدِّم أشغال المسلمين عليها ثم يتمّم أوراده، وكان تزوج الخاتون بنت معين الدِّين أُنَر، فطلبتْ منه زيادةَ نفقة فغَضب، وقال: قد فرضتُ لها ما يكفيها، والله [لا][1] أخوض جهنَّم بسببها، وهذه الأموال ليست لي إنما هي للمُسْلمين، وأنا خازنُهم، فلا أخونهم فيها، ولي بحمص ثلاث دكاكين اشتريتها من الغنائم، قد وهبتها لها، وكان يحصل منها قدر يسير.

قال: وكان يلعب بالكرة[3] كثيراً، فكتبَ إليه بعضُ الصَّالحين يُنكر عليه ويقول: إنَّك تُتْعب الخيل في غير فائدة، فكتب إليه [نور الدين][1] بخطه: والله ما أقصد اللعب، وإنما نحن [في][1] ثغر، والعدوُّ منا قريب، فربما وقع صوت فتكون الخيل قد أَدْمنت على سُرْعة الانعطاف بالكَرِّ والفرِّ، فإذا طلبنا العدو أدركناه، ولو تركناها بحالها لصارت جَمَاماً لا ينتفع بها، فنيَّتي في لعب الكرة هذا[1].

وأُهديت له عِمامة مُذْهبة من مِصْر، فوهبها لشيخ الصُّوفية أبي الفتح [بن][1] حمُّويه، فبعث بها إلى العجم، فبيعت بألف دينار[1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «الباهر» لابن الأثير: ١٦٣ -١٦٥.

(٣) هي لعبة الجوكان، وهي تشبه في وقتنا لعبة الغولف.

[قال][(١)]: وكان عارفاً بمذهب أبي حنيفة، وليس عنده تعصُّب على أحدٍ، والمذاهب كلّها سواء[(٢)].

[قال][(١)]: وكان يوماً يلعب بالكرة في مَيْدان دمشق، فجاءه رجلٌ، فوقف بإزائه وأشار إليه، فقال للحاجب: سَلْه ما حاجته؟ فسأله، فقال: لي مع نور الدِّين حكومة، فرمى الصّولجان من يده، وجاء إلى مجلس القاضي كمال الدين [بن][(١)] الشَّهْرُزُوري، وتقدَّمه الحاجب يقول [للقاضي: قد قال لك][(١)] لا تنزعج، واسْلُكْ معي ما تسلكه مع آحاد النّاس. فلما حضر سوَّى بينه وبين خصمه، وتحاكما، فلم يثبت للرَّجل عليه حق، وكان يدَّعي مِلْكاً في يد نور الدِّين، فقال نور الدين للقاضي والعدول: هل ثَبَتَ له عليَّ حق؟ قالوا: لا، قال: فاشْهدوا أَنِّي قد وَهَبْتُ له الملك، وقد كنتُ أعلم أنَّه لا حقَّ له عندي، وإنما حضرت معه لئلا يُقال عني أني دُعيت إلى مجلس الشرع، فأبيتُ[(٢)].

[قال][(١)]: ودخل يوماً إلى خزانته، فرأى مالاً كثيراً، فقال: مِنْ أين هذا؟ قالوا: قد بعَثَ القاضي كمال الدِّين من فائض الأوقاف، فقال: ردُّوه إليه، وقولوا له: أنا رقبتي دقيقة، لا أقدر على حَمْله غداً، وأنتَ رقبتك غليظة تقدر على حَمْله[(٢)].

[قال][(١)]: ونور الدِّين أول من بنى داراً للكشف بدمشق، وسمَّاها دار العَدْل[(٣)]، وسببه أَنَّ الأُمراء لما قَدِموا دمشق اقتنوا الأملاك، واستطالوا على النَّاس، وخصوصاً أسد الدِّين شيركوه، فكثرت الشكاوى إلى القاضي، فلم يقدر على الانتصاف من أسد الدِّين، فشكاه إلى نور الدين، فأمر ببناء دار العدْل، فأحضر شيركوه أصحابه وديوانه، وقال: إنَّ نور الدِّين ما بنى هذه الدار إلا بسببي وَحْدي لينتقم مني، وإلا فمَنْ هو الذي يمتنع على كمال الدِّين، والله لئن أُحضرت إلى دار العَدْل بسبب واحدٍ منكم لأصلبنَّه، فإن كان بينكم وبين أحدٍ منازعة فأرضوه مهما أمكن، ولو أتى على جميع ما في يدي، فإنَّ خروج أملاكي من يدي أهون عليَّ من أن يراني نور الدين بعين [أني][(٤)] ظالم، ويسوِّي بيني وبين آحاد العوام. ففعلوا، وأرضوا الخصوم، فجلس نور الدين في دار

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الباهر: ١٦٦-١٦٧.

(٣) في النسخ الخطية: ونور الدين أول من بنى دار العدل بدمشق، وسماها دار الكشف، والمثبت من «الباهر»: ١٦٨.

(٤) ما بين حاصرتين من (الباهر).

العَدْل، وقال للقاضي: ما أرى أحداً يشكو من شيركوه، فأخبره الخبر، فسجد، وقال: الحمد لله الذي جعل أصحابنا يُنصفون من نفوسهم قبل حضورهم عندنا.

وكان يقعد في دار العَدْل في كلِّ أسبوع أربعة أيام [أو خمسة][١] ويحضر عنده الفقهاء[٢]، ويأمر بإزالة الحاجب والبواب، ويوصل إليه الشيخ الضَّعيف والعجوز الكبيرة، ويسأل الفقهاء عما أَشكل عليه[٣].

[قال][٤]: وكان [نور الدين][٤] إذا حضر الحرب شدَّ تَرْكَشَيْن[٥]، وحمل قوسين، وباشر الحرب بنفسه، فقال له القطب النَّيسابوري: لا تخاطر بنفسك فأنتَ عمادُ الإسلام والمُسْلمين، فلو أُصبتَ في معركة والعياذ بالله؛ لا يبقى من يقوم مقامك وذهبت البلاد. فقال له: ومَنْ محمود حتى يُقال له هذا، ومن حفظ [البلاد قبلي إلا الله تعالى][٣].

وكان إذا مات أحدٌ من جنده][٤] أو قُتِلَ وله ولد، فإن كان كبيراً أقرَّ الإقطاع عليه، وإنْ كان صغيراً رتَّب معه من يتولى أمره إلى أن يكبر، فكان الأجناد يقولون: هذه أملاكنا ونحن نقاتل عليها لأنَّا نتوارثها[٣].

[قال][٤]: وما كان يتكل الجند على الأُمراء بل يتولاهم بنفسه، ويباشر[هم، ويتفقد][٤] خيولهم وسلاحهم مخافة أن يقصِّر الأُمراءُ في حقِّهم، ويقول: نحن كل وقت في النَّفير، فإذا لم تكن أجنادُنا كاملي العُدَّة دخل الوَهْن على الإسلام[٣].

[قال][٤]: وبنى جامعه بالمَوْصل، وفوَّض عمارته إلى الشيخ عمر المَلَّاء، وكان من الصَّالحين، فقيل له: إنَّه لا يصلح لمثل هذا. فقال: إذا ولَّيتُ بعضَ الأجناد [أو بعض العمال][٤] فلا يخلو من الظُّلم، وبناءُ الجامع لا يفي بظُلْم رجلٍ مُسْلم، وإذا ولَّيتُ مثل هذا الشيخ غَلَبَ على ظنِّي أنَّه لا يظلم، فإذا ظلم كان الإثمُ عليه [لا عليَّ][٤].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «الباهر» ١٦٨: وكان يجلس في الأسبوع يومين.

(٢) في (م): ويحضر عنده العلماء والفقهاء.

(٣) «الباهر»: ١٦٨-١٧٠ .

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) التركاش: كلمة فارسية تعني: جعبة السهام. انظر «المعجم الذهبي».

وكان [عمر][1] المَلَّاء من الصَّالحين، وإنما سُمِّي المَلَّاء لأنَّه كان يملأ تنانير الآجُرّ، ويأخذ الأُجرة، فيتقوَّت بها، وكان ما عليه من الثِّياب مثل القميص والعِمامة ما يملك غيره. [وكان][1] لا يملك من الدُّنيا شيئاً، وكان عالماً بفنون العلوم، وجميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه [لأجل صلاحه][1] ويتبركون به[2]، وصنَّف كتاب سيرة النَّبيِّ ﷺ، وكان يعمل مولد النَّبي ﷺ في كلِّ سنة، ويحضر دعوته صاحبُ المَوْصل والأكابر، وكان نور الدين يحبُّه ويكاتبه، وكان مكان الجامع النُّوري خَرِبة واسعة ما شَرَعَ أحدٌ في عمارتها إلا وقصر عمره، فأشار عمر على نور الدين بعمارتها جامعاً، فاشتراها وأنفق عليها أموالاً كثيرة، يقال ستين ألف دينار، ويقال: ثلاث مئة ألف دينار، فتمَّ في ثلاث سنين، وجاء نور الدِّين إلى المَوْصل [وهي][1] المرة الأخيرة، فصلَّى فيه، ووقف عليه قرية بالمَوْصل، ورتَّب فيه الخطيب والمؤذِّنين والحُصُر والبُسط وغيرها، ثم دخل عمر المَلَّاء على [نور الدين][3] وهو جالسٌ على دِجْلة، فترك بين يديه دساتير الخَرْج، وقال: يا مولانا أَشْتهي أن تنظر فيها، فقال له نور الدين: يا شيخ نحن عملنا هذا لله تعالى، دع الحساب إلى يوم الحساب، ثم رمى بالدَّساتير في دِجْلة.

[قال][1]: وبنى جامع حماة على العاصي[2].

ووقع [بيد نور الدين][4] إفرنجي من أكابر الملوك، ففدى نفسه بمالٍ عظيم، فشاور نور الدِّين أمراءه، فأشاروا ببقائه في الأَسْر خوفاً من شرِّه، فأرسل إليه نور الدِّين في السِّر يقول: أحضرِ المال، فأحضر ثلاث مئة ألف دينار، فأطلقه [نور الدين][1] فعند وصوله إلى مأمنه مات، فطلب الأُمراء أسهمهم من المال، فقال نور الدِّين: ما تستحقون منه شيئاً، لأنكم نَهَيْتُم عن الفداء، وقد جمع الله لي الحُسْنيين: الفداء، وموت اللعين، وخلاص المُسلمين منه. [فبنى بذلك المال المارَسْتان][5].

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الباهر: ١٧٠.

(٣) في (ح): عليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): بيده، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): «فبنى بذلك المال مارستان دمشق ومدرسته ودار الحديث بدمشق، ووقف عليها الأوقاف.
وفي (م): «فبنى بذلك المال جامع ومارستان ومدرسة ودار الحديث بدمشق، ووقف عليهم الأوقاف.
والمثبت ما بين حاصرتين من (ش)، وهو الصواب، وانظر «الروضتين»: ١/ ٤٦.

فقال ابنُ الأثير: وبلغني أنَّ وقوف نور الدِّين في أبواب البر بالشام [في وقتنا هذا وهو سنة[١]] ثمانٍ وستّ مئة كل شهر تسعة آلاف دينار صورية، ليس فيها ملك فيه كلام، بل حقٌّ ثابت بالشَّرْع باطناً وظاهراً، صحيح الشراء[٢].

[قلت: يرحم الله المجد[٣]، أشار إلى ذلك العهد، أما في زماننا هذا فقد تشعث وقفه، وتغيرت صفاته، ولم يبق منه إلا آثاره وبركاته.

وحكى ابن الأثير أيضاً أنَّ][٤] بعض الأُمراء [كان][٤] يحسد القطب النَّيسابوري لقربه من نور الدِّين، فنال منه يوماً عنده، فقال له: يا مسكين، لو نظرتَ في عيب نفسك لشغلك عن عيوب غيرك، وإن صحَّ ما قلته عنه فله حسنةٌ واحدة يغفر الله له بها كل زلة، وهي العِلْم، وأنتَ وأصحابك ليست لكم عند الله حسنة، والله لأن عدت إلى ذكره أو ذكر غيره بسوء لأؤدِّبنك، فكفَّ عنه[٥].

[قال][٤]: وما كان أحدٌ من الأُمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته، فإذا دَخَلَ عليه فقيرٌ أو عالم أو ربُّ حِرْفة، قام ومشى إليه وأجلسه إلى جانبه، ويعطيهم الأموال، فإذا قيل له في ذلك يقول: هؤلاء لهم حقٌّ في بيت المال، فإذا قنعوا منا ببعضه، فلهم المِنَّة علينا[٥].

[وذكره العماد الكاتب في أول «البرق الشامي»، وأثنى عليه، فقال: وفي سنة تسع وستين وخمس مئة، وهي التي توفي فيها نور الدين أكثر فيها من الصدقات والأوقاف وعمارة المساجد المهجورة][٦] وتعفية آثار الآثام، وإسقاط كل ما [كان فيه من

---

(١) في (ح): بالشام في سنة ثمان وست مئة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «الباهر»: ١٧٢.

(٣) وهم سبط ابن الجوزي بقوله المجد، إذ إنه لقب المبارك ابن الأثير المحدث، أما لقب المؤرخ فهو عز الدين، وهو المراد هنا.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «الباهر»: ١٧١-١٧٣.

(٦) في (ح): وقال: أكثر نور الدين الأوقاف والصدقات وعمارة المساجد المهجورة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحرام][١]، فما أبقى سوى الجزية والخَرَاج، وما تحصَّل من قسمة الغَلَّات على قويم المنهاج.

[قال][٢]: وأمرني بكِتْبة مناشير أهل البلاد، فكتبتُ أكثرَ من ألف منشور، و[حَسَبْنا ما][٢] تصدَّق به في تلك الشهور، [فكان][٢] ثلاثين ألف دينار، وكان له برسم نفقته الخاص في كلِّ شهر من الجزية ما يبلغ ألفي قرطاس، يصرفها في كسوته وملبوسه ومأكوله حتى أُجْرة خيَّاطه وجامكية طبَّاخه، ويستفضل منها ما يتصدَّق به في آخر الشهر، ويقال: إن قيمةَ القراطيس مئةٌ وخمسون دِرْهماً، وقيل: كان [كل][٢] ستين قرطاساً بدينار أو سبعين [درهماً][٢].

[قال][٢]: وما كان يصل إليه من هدايا الملوك وغيرهم يبعث به إلى القاضي، فيبيعه ويعمر به المساجد المهجورة، ولا يتناول منه شيئاً، وأمر بإحصاء مساجد دمشق، فأُحصيت، فكانت مئة مسجد، فأوقف الأوقاف على جميعها، [وذكر العماد جملة من فضائله، ولمعة من فواضله][٢]، ومن المساجد: جامع قلعة دمشق، ومسجد عطية بباب الجابية، ومسجد الرَّمَّاحين، ومسجد سوق الصَّاغة، ومسجد دار البطيخ، ومسجد العباسي، [ومسجد][٢] بجوار بيعة اليهود، ومسجد الكشك، وأشياء أُخر.

[قلت][٣]: وذكر جدي نور الدين في «المنتظم» بكلمات يسيرة، فقال: ولي الشام سنين، وجاهد الكفار، وكان أصلح من كثير من الولاة، وكان يتدين بطاعة الخلافة، والطرق آمنة في أيامه، والمحامد كثيرة، وذكر بناء مارستان دمشق وجامع الموصل، وكان يميل إلى التواضع، ويحب العلماء وأهل الدين، وقد كاتبني مراراً، وذكر أسره لملك الفرنج، وأنه أخذ منه ثلاث مئة ألف دينار، وشرط عليه أن لا يُغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وأخذ منه رهائن على ذلك. هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»[٤] في ترجمة نور الدين.

---

(١) في (ح): وإسقاط كل فيه الحرام في السنة التي توفي فيها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): قال المصنف رحمه الله: كان مشغولاً بصيد الصناديد..، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) «المنتظم»: ١٠/ ٢٤٨-٢٤٩.

قلت: وقد صنف كتاباً سماه «الفخر النوري» فيه أحاديث العدل والجهاد ومواعظ وغير ذلك، وصنف نور الدين أيضاً كتاباً في الجهاد، وهو بدمشق.

قلت: فقد ذكرتُ ما نقله علماء السير مما وقع لهم من سيرته، وما يستدل به على صالح سريرته، وقد وقع لي مآثر لم يذكروها، ومفاخر لم يُسَطِّروها لم تكن لملك غيره من ملوك الجاهلية والإسلام، ولا رأوها ولا في الأحلام]، كان مشغولاً بصيد الصِّيد[١] لا بصيْد الغزلان، وما زال بَدْرُ مبادرته إلى الخيرات يتمُّ لا عن نقصان، هذي المكارم لا قَعْبان[٢]، كان في عزمه أن يفتح البيت المقدَّس، فعمل منبراً وقِبْلة بجامع حلب على اسم القُدْس، فتوفي قبل الفتوح، فلما [ملك صلاح الدين البيت المقدس][٣] حمل المنبر إليه، وأبقى القِبْلة بجامع حلب.

[ومنها أنه][٤] كان له عجائز بدمشق وحلب، فكان يخيط الكوافي، ويعمل الساكر للأبواب، ويبيعها العجائز ولا يدري بهنَّ أحد، فكان يوم يصوم يُفْطر على أثمانها، وحكى لي شرف الدِّين يعقوب بن المبارز المعتمد أنَّ في دارهم سُكَّرة من عمله على خرستان، وهي باقية إلى سنة خمسين وست مئة، يتبرَّكون بها.

[ومنها ما حكاه لي الشيخ أبو عمر شيخ المقادسة رحمه الله قال][٥]: كان نور الدين يزور والدي الشيخ أحمد في المدرسة الصَّغيرة التي على نهر يزيد المجاورة للدَّير، [ونور الدين بنى هذه المدرسة والمصنع والفرن، قال:][٤] فجاء يوماً لزيارة والدي، وكان في سقف المسجد خشبة مكسورة، فقال له بعضُ الجماعة: يا نورَ الدِّين لو كشفت السقف وجدَّدته. فنظر إلى الخشبة وسكت، فلما كان من الغد جاء معماره ومعه خشبة صحيحة، فزرقها موضع المكسورة ومضى، فعجب الجماعة، فلما جاء

---

(١) الصِّيْد: جمع، مفرده الأصيد، وهو المائل العنق كبراً وزهواً، ويقال للملك، انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٥١٢.

(٢) إشارة إلى البيت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(٣) في (ح): فلما فتحه صلاح الدين حمل المنبر إليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): وقال الشيخ أبو عمر ﷺ، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

إلى الزِّيارة قال له بعضُ الحاضرين: يا نور الدِّين، فاكرتنا في كشف السقف. فقال: لا والله، وإنما هذا الشيخ أحمد رجل صالح، وإنما أزوره لأنتفع به، وما أردتُ أن أزخرف له المسجد، وأنقض ما هو صحيح، وهذه الخشبة يحصل بها المقصود، فدعوني مع حُسْن ظني فيه، فلعل الله ينفعني به.

[ومنها ما حكاه لي رجل صالح][1] من أهل حرَّان بقُبَّة الشيخ حياة[2] سنة خمس وستّ مئة، وكان قد نيف على التسعين سنة، قال: لما قُتِلَ أتابك زَنْكي على قلعة جَعْبر، وملك نورُ الدِّين قلعة حلب، تصدَّق وأزال المكوس، وردَّ المظالم، وأنا حديثُ عهد بعرس، وقد ركبني دينٌ، فقالت لي زوجتي: قد سمعتَ أوصاف نور الدِّين وإحسانه، فلو قصدته وأنهيتَ إليه حالك لقضى دينك، [قال]:[3] فخرجت من حَرَّان، وليس معي سوى دِرْهمين، فتركتُ عندها دِرْهماً، وتزوَّدْتُ بدرهم، وأتيتُ الفرات وقت القائلة، فعبرتُ جسر منبج، وأبعدتُ عن أعين النَّاس، وخلعت ثيابي ونزلتُ، فتوضأتُ للصَّلاة، وصليتُ رَكْعتين، وإذا إلى جانبي شخصٌ ملفوفٌ في عباءة، فقال لي: يا فقير من أين أنتَ؟ قلتُ: من حَرَّان، قال: وإلى أين؟ قلتُ: إلى حلب، قال: وما تصنع فيها؟ فقلتُ: أنا فقير ومديون، وقد بلغني إحسانُ نور الدِّين إلى الخَلْق، فقصدتُه لعلَّه يقضي ديني. قال: وأين أنت من نور الدِّين؟ ومَنْ يُوصلك إليه؟ كم عليك دين؟ قلتُ: خمسون ديناراً. فأخرج يده من العباءة وبحث الرمل، وأخرج منه قرطاساً، وألقاه إليَّ، وقال: خُذْ هذا، فاقضِ به دينك، وارجعْ إلى أهلك، فأخذتُه، فعددته، وإذا به خمسون ديناراً، والتفتُّ فلم أره، فبهت وبت في مكاني أفكر: هل أرجع إلى حَرَّان أم أمضي إلى حلب؟ فترجَّح عندي المضي إلى حلب. وقلتُ في نفسي: فهذه أوفي بها ديني، فمن أين أتقوَّت؟ ثم قمتُ وقصدتُ طريق حلب، فبتُّ بباب بُزاعة، وقمتُ في الليل، فأصبحت تحت قلعة حلب [وقت الصباح][3] فصلَّيتُ وقعدتُ [تحت القلعة][3]، وإذا قد فُتح بابُها ونزل نور الدين في أُبَّهةٍ عظيمة والأُمراءُ بين يديه، حتى جاء إلى المَيْدان، فلما أراد أن يدخل نظر إليَّ

(١) في (ح): قال المصنف رحمه الله: وحكى لي رجل من أهل حران، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «السير»: ٢٣/ ١٨١-١٨٢، ووفاته سنة (٥٨١هـ).

(٣) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

ورمقني طويلاً، وأشار إلى خادمٍ بين يديه بشيء، فجاء إليَّ، وقال: قُمْ. فأخذني، وصَعِدَ بي إلى القَلْعة، فندمتُ على مجيئي [إلى حلب][1]، وقلتُ: ليتني قبلتُ من ذلك [الرجل][1] الصَّالح، ولعل نور الدين توهَّم أني إسماعيلي، [قال][1]: فلما كان بعد ساعة عاد نور الدين إلى القلعة، وجلس في الإيوان، ومُدَّ سماطٌ عظيم ولم يمدَّ يده إليه، وإذا قد فُتح بابٌ عن يمينه صغير، وخَرَجَ منه خادم، وعلى يده طبق خُوص مُغطى بمنديل، فوضعه بين يديه، وفيه غضارة[2] عليها رغيف، فتأملتُها [من بعيد][1] وهي ثردة، فتناول منها شيئاً يسيراً، وأكل النَّاس وأكلتُ معهم، وصرف النَّاس، وبقيت قاعداً خائفاً، فأومى إليَّ، فقمتُ، وأتيتُ إلى بين يديه [وأنا خائف أرعد][1]، فقال: من أين أنت؟ قلتُ: من حَرَّان، قال: وما الذي أقدمك؟ قلتُ: عليَّ دين، وبلغني إحسانك [إلى الناس][1] فقصدتك [لتقضي ديني][1]، قال: وكم دينك؟ قلتُ: خمسونَ ديناراً، فقال: فما أعطاك أمسِ صاحبُ العباءة على الفرات خمسين ديناراً! هلا رجعتَ إلى أهلك وأنت عليك خرقة الفقر، وإذا حصل القوت للفقير فما يطلب شيئاً آخر، ثم قال: ما نضيِّع تعبك؛ ورفع سجَّادته وكانت زرقاء، وإذا بقرطاس مثل القرطاس [الأول][1] الذي أعطاني صاحب العباءة؛ فبكيتُ بكاءً كثيراً، وقلتُ: لا آخذه حتى تخبرني بصاحبِ العباءة، قال: هذا أمرٌ ما يلزمك، فقلتُ: يا مولانا، أنا غريبٌ وضيف ولي [عليك][1] حرمة، فبالله عليك أخبرني. فقال: احلف لي أنَّك لا تتحدَّث بهذا في حال حياتي. فحلفتُ له، فكشف القَبَاء عنه، وإذا بتلك العباءة على جسده، وقال: أنا ذاك الفقير. قلتُ: بالذي أعطاك هذه المنزلة[3]، بأيِّ شيء وصلتَ إلى هذا؟ فقال: بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ولكن لابُدَّ من السبب؛ لما التقينا بالفرنج على حارم، ونَصَرنا الله عليهم، وعدتُ إلى حلب، التقاني في الطَّريق شابٌّ حسنُ الوجه، طيِّبُ الرَّائحة، فسلَّم عليَّ، وقال: يا محمود، أنتَ من الأبدال، وقد أعطاك الله الدُنيا فاشترِ بها

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) إناء فخاري، انظر «تكملة المعاجم العربية»: ٧/ ٤١٢-٤١٣ .

(٣) من قرأ سيرة نور الدين بإمعان وجده ممن التزم بتطبيق الشرع بفهم واسع، وكان من الآخذين بالأسباب في تدبير أمر دولته، وهو من أولياء الله الملهمين وعباده المحدَّثين المكرمين كما وصفه معاصره عماد الدين، وولايته فيما وصف الله أولياءه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

الآخرة، وسَلْه مهما شئت، ثم علَّمني كلمات وقال: إذا طلبتَ أمراً فاذكرها، فقلتُ له: بالله مَنْ أنتَ؟ فقال: أنا أخوك الخضر. ثم غابَ عني، فإذا عَزَمْتُ على أمرٍ، وأردتُ أذهب إلى مكة أو المدينة أو إلى أي بلدٍ شئتُ، لبستُ هذه العباءة، وتكلَّمت بتلك الكلمات، وأغمض عيني وما أفتحها إلا وأنا في تلك البقعة[١].

[وحكى[٢] لي نجم الدين الحسن بن سلام؛ أحد عدول دمشق وأعيانها، وكان صديقنا وصاحبنا رحمه الله] قال: لما ملك الأشرفُ رحمه الله دمشق، وعمر مسجد أبي الدَّرْداء رضي الله عنه في القلعة، وأفرده عن الدُّور، دخلتُ عليه يوماً وهو فيه، فقال لي: [يا نجم الدين][٣] كيف ترى هذا المسجد؟ قد عمرته وأفردته عن الدُّور، وما صلَّى فيه أحدٌ منذ زمن أبي الدَّرْداء إلى الآن. فقلتُ له: الله الله يا مولانا، ما زال نور الدِّين منذ ملك دمشق يصلِّي فيه الصلوات الخمس، فقال: من أين لك هذا؟ قلتُ: حدَّثني والدي [وكان من أكابر عدول دمشق، وكان أبوه يلقب بالسَّعيد][٤]: إنَّ الفرنج لما نزلت على دِمْياط بعد وفاة أسد الدِّين، وضايقوها أُشرفت على الأخذ، فأقام نور الدِّين

---

(١) هذه القصة لا تصح، لأنها من رواية رجل مجهول، ثم إنَّ فيها اضطراباً، فهو قد ذكر في صدر القصة ما يفهم منه أن زمن ذهابه إلى نور الدين لما قتل أتابك زنكي على قلعة جعبر، وملك نور الدين قلعة حلب، وذلك كان سنة (٥٤١هـ).

ثم يخبرنا في آخر القصة ما أخبره به نور الدين من أن المنزلة هذه التي نالها كانت بعد انتصاره على الفرنج في حارم، وذلك كان سنة (٥٥٩هـ) فمتى التقى هذا الفقير نور الدين؟ ثم إن الصحيح في أمر الخضر عليه السلام عند العلماء الأثبات المحققين أنه مات، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ وبقول النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ، لأنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الثقلين الجن والإنس، وقد قال ﷺ: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي»، وأخبر ﷺ قبل موته بقليل أنه قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مئةِ سنةٍ منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحدٌ» ، يريد بذلك أنه ينخرم ذلك القرن، إلى غير ذلك من الدلائل. ومن احتج ببقائه حياً اعتمد على حكايات وآثار كهذه.

(٢) في (ح): وقال المصنف رحمه الله: وحكى لي نجم الدين الحسن بن سلام، قال: لما ملك، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): حدثني والدي أن الفرنج، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

عشرين يوماً صائماً لا يُفْطر إلا على الماء، فضَعُفَ، وكاد يتلف، وكان مهيباً، فلم يتجاسر أحدٌ أن يخاطبه في ذلك، وكان له إمامٌ يقال له يحيى ـ ضرير ـ يصلِّي به في هذا المسجد، فكان يقرأ عليه القرآن، وله عنده حرمة، فاجتمع إليه خواصُّ نور الدين، وقالوا: قد خفنا على السلطان، ونحن من هيبته ما نقابله، وأنت تُدِلُّ عليه، و[نحن][1] نسألك أن تسأله أن يتناول ما يحفظ به قوَّته، فقال: نعم، إذا صلَّيتُ به غداة غدٍ الفجر سألته. [قال][1]: فلما كان في تلك الليلة رأى الشيخ يحيى في المنام رسولَ الله ﷺ يقول له: يا يحيى، بَشِّرْ نور الدين محمود برحيل الفرنج عن دمياط، قال: فقلتُ: يارسولَ الله، ربما لا يصدِّقني وأريد [له][1] أمارة. قال: قل له بعلامة يوم حارم. قال: وانتبه يحيى وهو ذاهبُ العقل، فلما صلَّى نورُ الدِّين خلفه الفجر، وسَلَّم وشرع يدعو ففاته أن يتحدَّث معه، فقال له نور الدِّين: يحيى. قال: لبَّيك يا مولانا. قال: تحدِّثني أو أحدِّثك. [قال][1]: فارتعد يحيى وخَرِسَ. فقال [له][1]: أنا أحدِّثُك، رأيتَ النَّبيَّ ﷺ في هذه الليلة، وقال لك كذا وكذا؟ فقال: نعم، فبالله يا مولانا ما معنى قوله ﷺ: بعلامة يوم حارم. فقال [له][1] نور الدين: لما التقى الصَّفَّان خِفْتُ على الإسلام، لأني رأيتُ من كثرة الفرنج ما هالني، فانفردتُ عن العسكر، ونزلتُ فمرَّغت وَجْهي في التراب، وقلتُ: يا سيِّدي مَنْ محمود في البين، الدِّينُ دينك، والجُنْد جُنْدُك، وهو اليوم فافعل ما يليقُ بكرمك، [قال][1]: فنصرنا الله عليهم.

[قلت][2]: وحدَّثني شهاب الدِّين بن البانياسي [عم جمال الدين البانياسي][1] ـ وكان على ديوان جامع دمشق ـ: أول ما قَدِمْتُ الشَّامَ اجتمعتُ به في درب الشعارين في قاعة الوزير صفي الدِّين بن شُكْر [وزير العادل][1]، وكان هناك جماعة، فاشتغل الوزير بالحديث معهم، وكان شهاب إلى جانبي، فتذاكرنا نور الدين، فقال: كان أبي يخدمه في أسفاره ومقامه على ديوانه، [قال][1] فحكى لي وأنا صغير، قال: خَرَجَ نورُ الدِّين من دمشق يتصيَّد في أرض قطنا ويعفور وأنا معه، فبينا هو ذاتَ يوم قد ركب من الخيم ليذهب إلى الصَّيد، وإذا برجلٍ أعجمي قد أقبل من ناحية دمشق ومعه خيلٌ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): قال المصنف رحمه الله: وحدثني شهاب الدين، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ومماليك، وكان تاجراً، فلما وصل إلى نور الدين، ترجَّل وقبَّل الأرض. فرحَّب به نور الدين ـ وكان صديقه ـ وقال: أين أرمغان؟ قال: حاضر، ومضى نور الدِّين، فلما عاد استدعاه، فأحضر قُماشاً وعِدَّة مماليك وفيهم مملوكٌ مستحسنٌ جداً، فقَبِلَ المملوك ورَدَّ الباقي، فكان له خادمٌ أبيض اسمه سهيل قد رَبَّاه، فقال [له][1]: يا سهيل خُذْ هذا المملوك إليك، وادفعْ إلى التاجر خمس مئة دينار، وخِلْعة وبغلة.

قال والد شهاب: فحدَّثني سهيل، قال: لما قال لي كذا؛ قلتُ في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا ما اشترى مملوكاً قطُّ يساوي خمسين ديناراً، يشتري مملوكاً بخمس مئة دينار! قال: ففعلتُ ما أمرني، فتركني أياماً، وقال: يا سهيل، أحضرِ المملوك كل يوم [مع][1] المماليك يقف في الخِدْمة. فأحضَرْتُه، فلما كان بعد أيام قال لي: أحضره وقت العِشاء الآخرة إلى الخيمة ونَمْ أنت وإياه على باب البُرْج، [قال][1]: فقلتُ في نفسي: هذا الشيخ في زمن شبابه ما ارتكب كبيرةً، لما ارتفع سِنُّه يقع فيها! والله لأقتلنَّه قبل أن يقع في معصية، فعمدت إلى كتارةٍ لي فأصلَحْتُها [وقلت: والله لأقتلنَّه قبل أن يصل إليه][1] وجِئْتُ بالمملوك إلى الخيمة وأنا قَلِقٌ، فسهرت عامَّة الليل ونورُ الدِّين في أعلى البُرْج، فلما كان وقت السَّحر غلبتني عيناي، فنمتُ، ثم انقلبتُ، فوقعت يدي على خدِّ الغلام، وإذا به مثل الجمرة، قد أخذته الحُمَّى، فأخذته ومضيتُ إلى خيمتي، فلما أصبح، أحضرتُ الطَّبيب فرآه، فقال: هذا مرَضه سماويّ، فلما كان وقت الظُّهْر مات، فغسَّلْتُه وكفنته ودفنته، فلما كان اليوم الثَّاني، دعاني نور الدين فدخلتُ، فقال: اقعد. فقعدتُ، فقال: سهيل، إنَّ بعض الظَّنِّ إثم، [قال][1]، فاستحييتُ، فقال: قد عرفتَ حالي وأنتَ ربَّيتني، هل عثرتَ لي على زَلَّة؟ قلتُ: حاشى لله، قال: فَلِمَ حملتَ الكتارة وحدَّثَتْك نفسُك لي بالسُّوء؟ ما أنا معصوم، لما رأيتُ الغلام وقَعَ في قلبي منه مثل النَّار، فعلِمْتُ أنَّه من تسويل الشيطان، فقلتُ لك اشتريه لعلي يُذْهب عني ما أنا فيه، فلم يذهب، فقالت لي نفسي: أريد أنْ أراه كلَّ يوم.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فأمرتُك بإحضاره، فقالت: ما أقنع إلا بأن يحضر [عندك][1] في البُرْج في الليل، فأمرتُك بأن تحضره، فأحضرته، فلما كان في تلك الليلة ما تركني أنام، وبقيتُ أنا وإياها في حَرْب إلى وقت السَّحر، فهممتُ أن أفتحَ باب البُرْج وأُصعده إلى عندي، فجاءتني اليقظة، وكشفتُ رأسي، وقلتُ: إلهي، محمود عبدك المجاهد في سبيلك، الذاب عن دين نبيك ﷺ الذي عَمَّر المدارس والرُّبُط وأوقفَ الأوقاف، وفعل ما فعل، تختم أعماله بمثل هذا! فسمعتُ هاتفاً يقول: قد كفيناك يا محمودُ أمره، لا بأس عليك. فعلمتُ أنه قد حَدَثَ به حَدَثٌ، وأما أنت يا سهيل فجزاك الله عن الصُّحْبة خيراً، والله إنَّ القتلَ أهونُ عليَّ من الوقوع في المعصية. ثم قدَّم سهيلاً، وأحسن إليه.

[وحكى لي الكمال ابن البانياسي ابن أخي الشهاب، قال: حكى لي من يتولى][2] أوقاف نور الدين: أنه أجر بعض بساتينه لرجلٍ من دمشق على ستِّ مئة دِرْهم، فأصابتِ البساتين جائحة، [فجاء ذلك الرجل يتضوَّر، فأسقطوا عنه][3] ثلاث مئة دِرْهم، فلما كان بعد أيام جاء الرجل ومعه ستّ مئة دِرْهم، وهو يبكي، فقيل له: مالَك؟ قال: رأيتُ في المنام وقد خَرَج عليَّ نور الدين من قبره، وبيده جوكان، وقال: أنتَ تكسر وقفي. وأراد أن يضربني، فقلتُ: أنا تائب، ورمى بالدَّراهم، [فقلنا له: خذها، فقال: لا والله أخاف أن يضربني][1].

[وحكى][1] الشيخ تاج الدِّين الكندي: ما تبسَّمَ نورُ الدِّين إلا نادراً، حكى لي جماعةٌ من شيوخ المحدِّثين: أنهم قرؤوا عليه حديثَ التَّبَسُّم، وكان يرويه، فقالوا له: تَبَسَّمْ، فقال: لا والله لا أتبسَّم من غير عجب.

[و][1] حدَّثني رجلٌ من أهل حَرَّان: قال: خَرَجَ يوماً نورُ الدِّين من حرَّان قاصداً إلى الرُّها، فاجتاز على نهر، وفقير نائم على [جانب النهر][4]، فوقف وسلَّم عليه، فرفع الفقيرُ رأسه، وأشار بيده: في أيِّ شيء أنتَ؟ فحرّك نورُ الدين أُصْبعاً واحداً، فحرَّك

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وقال متولي أوقاف نور الدين، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): فجاء متضوراً، فأسقط عنه ثلاث مئة درهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): جانبه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وبنحوه في (ش).

الفقير أُصْبعين، ومضى نور الدِّين باكياً، فقيل له: ما هذا؟ قال: أشار إلي الفقير، وقال: في أيِّ شي أنت؟ وهذا كله لماذا؟ فقلتُ: من أجلِ رغيف واحد. فأشار إليَّ بأُصبعيه، وقال: أنا آكل في اليوم رغيفين، وما أنا مثلك.

[وذكر ابن الأثير الجَزَري في «تاريخه»، قال][(١)]: كان نورُ الدِّين قد جَمَعَ العساكر من المَوْصل والجزيرة وديار بكر ليتركها بالشَّام في مقابلة الفرنج، ويتوجَّه بنفسه إلى مِصْر، فإنَّه رأى من صلاح الدين فتوراً في غَزْوِ الفرنج، وكان المانع لصلاح الدِّين من الغَزْوِ خوفَه من نور الدين، [فكان يقصر في غزوهم][(٢)]، وما كان يرى نور الدين إلا خلاص القُدْس منهم، واستئصالهم من السواحل، فمضى إلى دمشق، وأقام يتجهَّز، فأدركه أجله [وهو على هذه النية][(٢)] [(٣)].

ذكر وفاته [وما يتعلَّق بها][(٢)]

كان قد خَتَنَ ولده الملك الصَّالح إسماعيل، يوم الفطر، وهُنِّئ بالعيد والطُّهور [ومدحه الشعراء][(٢)]، فقال العماد الكاتب: [من المجتث]

عيدان فِطْرٌ وطُهْرُ ... فتحٌ قريبٌ ونَصْرُ
كلاهما لك فيه ... حقًّا هناءٌ وأَجْرُ
وفيهما بالتَّهاني ... رسْمٌ لنا مُسْتَمِرُّ
طهارةٌ طابَ منها ... أصلٌ وفَرْعٌ وذِكْرُ
محمودٌ المَلِك العا ... دِلُ الكريمُ الأَغَرُّ
وبابنه الملك الصَّا ... لح العيونُ تَقِرُّ
مولى به اشتدَّ للدِّيـ ... ـنِ والشَّريعةِ أَزْرُ
وإنَّ حُبَّكَ دِيْنٌ ... وإنَّ بُغْضَكَ كُفْرُ
لنا بيمناكَ يُمْنٌ ... لنا بِيُسْراك يُسْرُ
وللموالينَ نَفْعٌ ... وللمُعادين ضَرُّ

---

(١) في (ح): وقال ابن الأثير الجزري، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «الباهر»: ١٦١.

قد استوى منك تقوى الـ ... إلـه سرٌّ وجَهْرُ
يا أعظمَ النَّاس قَدْراً ... وهل لغيرك قَدْرُ
ما اعْتَدْتَ إلا وفاءً ... وعادةُ القوم غَدْرُ
هذا الظُّهورُ ظهورٌ ... على الزَّمان وأَمْرُ
رُزِقْتَ عُمراً طويلاً ... ما طالَ للدَّهْر عُمْرُ

وخرج نورُ الدِّين يوم الأحد إلى المُصَلَّى بالأمراء والأجناد، والقَدَرُ يقول: هذا آخر الأعياد. فَمَرِضَ، وبدأ به الخوانيق، وما كان يرى الطِّبّ.

قال الرَّحْبي الطَّبيب[1]: اسْتُدْعينا، فدخلنا عليه ونحن جماعةٌ من الأطباء وهو في قلعة دمشق في بيتٍ صغير كان يتعبَّد [فيه]، وقد استحكم منه المرض، واستولى الخوانيق على حلقه فما كان يسمع منه صوت، فشرعنا في مداواته، فلم ينجع فيه الدَّواء مع حضور أجله، وكانوا قد أشاروا عليه بالفَصْد في أوَّل المرض، فامتنع، وكان مهيباً فما رُوجع.

وكانت وفاته يوم الأربعاء حادي عشر شَوَّال، ودفن بالقَلْعة، ثم نُقِل إلى مدرسته التي أنشأَها مجاورة للخوَّاصين، ويقال: إنَّها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وقيل: دار سليمان بن عبد الملك، وعاش ثمانياً وخمسين سنة، وكانت أيامه ثمانية وعشرين سنة وستة أشهر.

وقال عرقلة في مدرسة نور الدِّين رحمه الله: [من الوافر]

ومدرسة سيدرسُ كلُّ شيء ... وتبقى في حِمَى عِلْمٍ ونُسْكِ
تضوَّعَ ذِكْرُها شَرْقاً وغَرْباً ... بنور الدِّين محمودِ بنِ زَنْكي
يقول وقولُه حقٌّ وصِدْقٌ ... بغير كنايةٍ وبغير شَكِّ
دمشقُ في المدائن بيت مُلْكي ... وهذي في المدارس بيتُ مِلْكي

(١) هو رضي الدين يوسف بن حيدرة بن حسن الرحبي، من أشهر أطباء عصره، توفي سنة (٦٣١هـ)، له ترجمة في «عيون الأنباء»: ٦٧٢ -٦٧٥ ، ٦٨٢ .

[ورثاه جماعة من العلماء][1] فقال العمادُ الكاتب: [من المتقارب]

عجبتُ من الموتِ كيف اهتدى ... إلى مَلِكٍ في سجايا مَلَكْ
وكيف ثوى الفَلَكُ المُسْتدي ... رُ في الأَرْضِ والأرضُ وَسْطَ الفَلَكْ

وقال أيضا: [من السريع]

يا ملكاً أيَّامُه لم تَزَلْ ... لفَضْلِهِ فاضلةً فاخِرَهْ
ملكتَ دُنْياكَ وخَلَّفْتَها ... وسرتَ حتى تملكَ الآخِرَه

وقال أبو اليُسْر شاكر بن عبدالله: تعدَّى بعضُ أمراءِ صلاحِ الدِّين على رجلٍ، وأخذ ماله، فجاء إلى صلاح الدِّين، فلم يأخذ له بيد، فجاء إلى قَبْر نور الدِّين، وشَقَّ ثيابه، وحثى التُّرابَ على رأسه، وجعل يستغيث: يا نورَ الدِّين [أين] أيامك؟ ويبكي، وبَلَغَ صلاح الدِّين، فاستدعاه وأعطاه ماله، فازدادَ بكاؤه، فقال له صلاح الدين: ما يبكيك وقد أنصفناك؟ فقال: إنَّما أبكي على ملك أُنصفت ببركاته بعد موته، كيف يأكله التُّراب، ويفقده المسلمون!

ذِكرُ ألقابه

التي جاءت من بغداد مع الخِلْعة، ويُخطب له بها على المنابر: اللهم وأَصْلِحِ المولى السُّلْطان الملك العادِلَ العالم، العامل الزَّاهد، العابد الوَرِع المجاهد المرابط، نورَ الدين وعُدَّتَه، ركنَ الإسلام وسَيْفَه، قسيمَ الدولة وعمادَها، اختيار الخلافة ومعِزّها، رضيَّ الإمامة وأثيرَها، فخر المِلَّة ومجيرها، شمس المعالي وفلكها، سيِّد ملوك الشرق والغرب وسُلْطانَها، محيي العَدْل في العالمين، مُنْصف المظلومين من الظَّالمين، ناصر دولة أمير المؤمنين، وذكر ألقاباً أخرى.

ثم إنَّ نور الدِّين أسقطَ الجميع قبل موته، وقال: يقال: اللهم وأَصْلِحْ عبدَك الفقير محمود بن زنكي.

ورُوي أنَّه كَتَبَ رقعةً بخطه إلى وزيره خالد بن القَيْسَراني يأمره أن يكتبَ له صورةَ ما يُدْعى له به على المنابر، وكان مقصودُه صيانةَ الخطيبِ عن الكَذِب، ولئلا يقول ما ليس فيه، فكتبَ ابنُ القَيْسراني كلاماً، ودعا له فيه، ثم قال: وأرى أن يقال على

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

المنبر، اللهم وأَصْلح عبدَك الفقيرَ إلى رحمتك، الخاضعَ لهيبتك، المعتصم بقوتك، المجاهِدَ في سبيلك، المرابط لأعداء دِيْنك، أبا القاسم محمود بن زَنْكي بن آق سُنْقُر، ناصر أمير المؤمنين. فإن هذا ما يدخله كَذِبٌ ولا تزيُّد، فكتَبَ نورُ الدين على رأسها بخطِّه: مقصودي أن لا يُكذب على المنبر، أنا بخلاف كل ما يقال، أفرح بما لا أعمل، قِلَّة عقل عظيم، الذي كتبت به جيد، اكتبْ به نُسَخاً إلى البلاد.

وكان يقول لأصحابه: حرام على كلٍّ من صحبني ولا يرفع إلي قصة مظلوم لا يستطيع الوصول إليَّ.

ذكرُ نُبْذةٍ مما مُدِحَ به:

كان قليلَ الابتهاج بالشِّعْر، لا يُؤْثر المديح ويجيز عليه، فمن قول ابن القيسراني فيه: [من الخفيف]

ذو الجهادين من عدوٍّ ونَفْسٍ ... فهو طول الحياةِ في هَيْجاءِ
أيها المالكُ الذي ألزم النَّا ... سَ سلوكَ المحجَّة البيضاءِ
قد فَضَحْتَ الملوكَ بالعَدْلِ لَمَّا ... سِرْتَ في الناس سيرةَ الخُلَفاء
قاسماً ما مَلَكْتَ في النَّاس حتى ... لقسمتَ التُّقى على الأتقياءِ
شيم الصَّالحين في جُنَنِ[1] التُّرْ ... كِ وكم من سكينة في قَبَاءِ
أنتَ حيناً تقاس بالأسد الوَرْ ... دِ وحيناً تُعَدُّ في الأولياءِ
وكأنَّ القَباء منك لما ضمَّ (م) من الطُّهْر مسجدٌ بقُباءِ
أنتَ إلا تكنْ نبياً فما فا ... تَكَ إلَّا خلائقُ الأنبياءِ
رأفةٌ في شهامةٍ وعفافٌ ... في اقتدارٍ وسَطْوةٌ في حياءِ
وجمالٌ ممنطقٌ بجلالٍ ... وكمالٌ متوَّجٌ ببهاءِ
عَجِبَ النَّاسُ منك أنَّك في الحَرْ ... بِ شهابُ الكتيبةِ الشَّهْباءِ
وكأنَّ السيوفَ من عَزْمك الما ... ضي أفادتْ ما عندها من مَضَاءِ
ولعمْري لو استطاع فَدَاك الـ ... ـقومُ بالأمَّهات والآباءِ

(١) مفردها جنة، وهي الدرع، «اللسان» (جنن).

وقال: [من الخفيف]

مَـلِـكٌ أشْـبـه الـمـلائـكَ فَـضْـلاً ... وشـبـيـه بـمـالـكِ الأمـر جُـنْـدُهْ
عـمَّ إحـسـانُـه فـأصـبـحَ يُـتْـلـى ... شـكـره فـي الـورى ويُـدْرَسُ حَـمْـدُهْ
فـسـقـى الـلـه ذِكْـرَه أيـنـمـا حـلَّ ... ولا فـاتَـه مـن الـنَّـضْـرِ رِفْـدُهْ

وقال أحمد بن منير: [من الطويل]

أيـا مـلـكَ الـدُّنـيـا الـحُـلاحـل والـذي ... لـه الأرضُ دارٌ والـبَـرِيَّـةُ أعْـبُـدُ
ولـيـسـتْ بـدعـوى لا يُـقـام دلـيـلُـهـا ... ولـكـنَّـه الـحـقُّ الـذي لـيـس يُـجْـحَـدُ
أخـو غَـزَوَاتٍ كـالـعـقـودِ تـنـاسَـقَـتْ ... تَـحُـلُّ بـأجـيـادِ الـجـيـادِ وتُـعْـقَـدُ
لـسـانٌ بِـذِكْـر الـلـه يـكـسـو نـهـارَه ... بـهـاءً وجَـفْـنٌ فـي الـدُّجـى لـيـس يَـرْقُـدُ
وبَـذْلٌ وعَـدْلٌ اغـرقـا وتـألَّـقـا ... فـلا الـوِرْدُ مـثـمـودٌ ولا الـبـابُ مُـوْصَـدُ
مـرامٌ سـمـائـيٌّ وحَـزْمٌ مـسـدَّدٌ ... ورأيٌّ شـهـابـيٌّ وعَـزْمٌ مـؤيَّـدُ

وقال ابنُ الأثير: كان مجلسُ نور الدين مثل مجلس رسول الله ﷺ لا يُسمع فيه لأحدٍ كلمة إلا مفيدة، فلما ملك صلاحُ الدِّين دمشق حضر الحافظ ابنُ عساكر مجلسه، فسمع لَغَطاً كثيراً، وكلُّ واحدٍ يتحدَّث مع الآخر، وليس للمجلس هيبة، فبكى [الحافظ][1] وقال: يرحم الله نور الدين، لقد حضرت مجلسه مراراً، فما سمعتُ أحداً ينطق إلا جواباً، فما هذا اللَّغط! وبلغ صلاح الدين فقال: إذا حضر الحافِظُ عندنا فلا يتكلَّمَنَّ أحدٌ بكلمة[2].

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

كان ولده الملك الصَّالح لم يبلغِ الحُلُم، فأجلسوه مكانه، وحَضَرَ القاضي كمال الدين بن [الشَّهْرُزُوري وشمس الدين بن المقدَّم، وجمال الدِّين][1] ريحان ـ وهو أكبر الخدم ـ والعَدْل أبو صالح بن العَجَمي أمين الأعمال، والشيخ إسماعيل خازن بيت المال، وتحالفوا أن تكون أيديهم واحدة، وأنَّ شمسَ الدِّين [بن المقدَّم][1] إليه تقدمةُ العساكر، وتربيةُ الملك الصالح.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الباهر: ١٧٢-١٧٣.

ووصل كتابُ صلاح الدِّين من إنشاء الفاضل [إلى دمشق][1]، وفيه: أدامَ الله أيَّام مولانا الملك الصَّالح، رفع الله قَدْره، وأَعْظَمَ أَجْرَ المملوك في مولانا الملك العادل وأَجْره، أصدر خدمته هذه يوم الجمعة رابع عشر ذي القَعْدة، وفيه أُقيمت الخُطْبة بالاسم الكريم، وصرّح بذكره في الموسم العظيم، والجمعِ الذي لا لغْوَ فيه ولا تأثيم، وأشبه المملوك أَمْسَه في الخِدْمة، ووفَّى بما لزمه من حقوق النِّعْمة، وجَمَع كلمة الإسلام لعِلْمه بأن الجماعةَ رحمة، والله تعالى يخلِّدُ مُلْكَ مولانا الملك الصَّالح، ويُصْلح به، وعلى يديه، ويديمُ النَّعْماء عليه [وذكر فصولاً تتعلق بالتهنئة والتعزية][1].

ولما بلغ الفرنجَ وفاةُ نور الدِّين قصدوا بانياس[2] طمعاً في البلاد، فراسلهم شمسُ الدِّين بن المقدَّم، وخوَّفهم بأسَ صلاح [الدين][1]، فلم يلتفتوا، فصالحهم على مالٍ دفعه [إليهم][1] في ذلك الوقت، وبلغ صلاح الدين، فشقَّ عليه، وكتب إلى شرف الدين بن [أبي][1] عَصْرُون يقول: لما بلغني وفاة المرحوم، خرجت من مصر لقصد الجهاد، وتطهير البلاد من أهل الكُفْر والعناد، فبلغني حديثُ الهُدْنة المؤذنة بذُلِّ الإسلام، وشَيْنِ شريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام، والشيخ أَوْلى من جَرَّد لسانه في إنكار هذا الأمر، فإنَّ بلسانه تُغمد السيوف، وتجرَّد الحتوف.

وأما سيف الدِّين غازي، فإنَّه كان قد سار عن المَوْصل لنجدة عمه نور الدين، ووصل إلى حرَّان، فبلغه وفاةُ عمه، فاستولى على الجزيرة بأسرها ما خلا قلعة جَعْبر، وكان نورُ الدِّين قد أبطل الخمور والمكوس من الجزيرة، فأعادها سيفُ الدِّين، وأقام منادياً ينادي في الأسواق، وبيده باطيةُ خمر وقَدَح وهو يشرب، فكَثُرَ التَّرحم على نورِ الدِّين، والذَّم لسيفِ الدِّين.

وأراد سيفُ الدِّين العبورَ إلى الشَّام، والاستيلاء على حلب، فقال له الأُمراء: ارجعْ إلى بلدك فقد ملكت الجزيرة، ولم يملكها أبوك، وصلاح الدين بين يديك، فعاد إلى المَوْصل، وبلغ صلاح الدين، فكَتبَ إلى أُمراء نور الدين يلومهم حيث مكَّنوا سيفَ الدِّين من أَخْذِ الجزيرة، ويقول: سوف أَصِلُ إلى خدمة ابنِ مولاي، وأُجازي إِنْعام والده عليَّ وما عاملني به.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هي في هضبة الجولان، وبقربها الآن قلعة تعرف بقلعة النمرود.

وكان شمسُ الدِّين علي ابن الدَّاية في قلعة حلب حاكماً عليها هو وأخوه مجد الدين أبو بكر وسابق الدِّين عثمان، وكانوا أعزَّ النَّاس على نور الدين، وكان مجد الدين [أبو بكر رضيع نورِ الدين][(١)] وكانت شَيْزَر لشمس الدِّين علي، وقلعة جَعْبر وتل باشر لأخيه سابق الدِّين عثمان، وحارم لبدر الدِّين حَسَن أخيهم، وكان نور الدين قد أسكنهم معه بقلعة حلب، ولا يَصْدُرُ إلا عن رأيهم، فلما مات نور الدين لم يشكُّوا أَنَّهم أحقُّ بتربية ولده من غيرهم، وكان أوجههم شمسَ الدين [عليّ، وكان بالقلعة معه شاذبخت الخادم، فلما وصل سيف الدين إلى الفرات أرسل شمسُ الدين][(٢)] إلى دمشق يطلبُ الملكَ الصَّالح ليدفع به سيفَ الدِّين، فقالوا: إنْ سيَّرْتموه إليه استولى على تربيته، فاعتذروا إليه، وأقام الصَّالح بدمشق تمام هذه السَّنة.

أبو شجاع الطوابيقي البغدادي[(٣)]

شاعر فصيح، أقام بالموصل، ومدح أكابرها، ومن شعره: [من الكامل]

أصبحتَ تُخْرجني بغير جنايةٍ ... من دار إعزازٍ لدار هَوَانِ
كدمِ الفِصادِ يراقُ أرذلَ موضعٍ ... أبداً ويخرجُ من أعزِّ مكانِ
إنْ لم يخلِّصْني الوِصالُ بجاهه ... سأموتُ تحت عقوبةِ الهِجْرانِ[(٤)]

السَّنة السَّبعون وخمس مئة

[قال جدي رحمه الله: في هذه السنة انتهى تفسيري للقرآن على المنبر، فإني كنتُ أذكر في كل مجلس منه آيات، ففرغت في هذه السنة، وسجد على المنبر شكراً لله تعالى، وقال: ما أعرف واعظاً غيري فسَّر القرآن كله على المنبر إلا أنا[(٥)].

---

(١) في (ح): وكان مجد الدين رضيعه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ج١/ ٣١٨-٣٢٢ ، و«فوات الوفيات»: ٣/ ١١٩-١٩٢ ـ وفيه القاسم بن الحسين أبو شجاع بن الطوابيقي ـ و«الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ١١٨-١١٩ ، ووفاته في الفوات والوافي سنة (٥٩٦هـ)، وإخاله وهماً.

قال ابن الأثير في اللباب: ٢/ ٢٨٧ هذه النسبة إلى الطوابيقي، وهي الآجر الكبار الذي يفرش في صحن الدار.

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٣٢٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٥) «المنتظم»: ١٠/ ٢٥١ .